SIATS Journals

The Journal of Sharia Fundamentals for Specialized Researches

(JSFSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

مجلة أصول الشريعة للأبحاث التخصصية

المجلد4 ، العدد3 ، تموز ،جولاي 2018م.

e ISSN 2289-9073

AL'USUL ALSABEAT ALTY 'ARSAHA EABD ALQADIR ALJYLANY

الأصول السبعة التي أرساها عبد القادر الجيلاني

AMENAH MOHAMMED ABDULLAH

Dr. AHMAD IRDHA MOKHTAR

الجامعة الوطنية الماليزية

قسم الدعوة والقيادة، كلية الدراسات الإسلامية

mamenah17@gmail.com

1439هـ – 2018م

ARTICLE INFO

Article history:
Received 23/4/2018
Received in revised form 5/5/2018
Accepted 17/6/2018
Available online 15/7/2018

ABSTRACT

Sheikh 'Abd al-Qadir al-Jaili or al-Jilani or al-Kilani is one of the 7th-century Muslim scholars (470 AH-561 AH) Imam Sufi and Faqih Hanbali and the founder of the Qadiriyah (Sufi Religious Order) which he used it as a methodology of building society and the great leaders and scholars such as Salah al-Din Yusuf Ibn Ayyub, Shihab al-Din Omar al-Suhrawardi, Moin al-Din al-Jashti and others. His followers still follow his intellectual method which based on the solid foundation of the Holy Quran and the Sunnah of Prophet Mohammed (PBUH), where it and "Qadiriyah" followers, who spread in Bilad al-Sham, Iraq, Egypt and East Africa, had a great impact in the spread of Islam in the continent of Asia and Africa and a great role in stopping the Crusaders invasion and resisting their expansion in Maghreb. In spite of the intellectual deviations added to the pure Qadiriyah founded by Sheikh al-Jilani, by different streams that claim affiliation to him, Sheikh al-Jilani's approach is still followed by the Arabs and others.

In this study, I have tried to show some excerpts of the timeline of Sheikh al-Jilani's history; his life, his origin, his authoritative writings, his thoughts, which were written by his followers, and the scholars' opinions of his era about him, besides, his seven foundations on which he built his approach and methodology; repentance, asceticism, trust in Allah, thankfulness, patience, satisfaction, honesty that derived from the Holy Quran and the words and deeds of the Prophet Mohammed (PBUH), and his philosophy and his view of these foundations and their reflection in practice in the ethics and manners of his followers and Muslims in general**.**

Keywords: Sheikh 'Abd al-Qadir al, Al-Muraideen (followers), Method, Curriculum, The Seven principle

الملخص

الشيخ عبد القادر الجيلاني واحد من أعلام علماء القرن السابع الهجري (470 هـ – 561 هـ) امام صوفي وفقيه حنبلي ومؤسس الطريقة القادرية الروحانية الصوفية التي استخدمها بمنهجة في بناء المجتمع آنذاك، ولا زال أتباعه يقتفون اثر هذه الطريقة القائمة على الأساس المتين المتمثل بالقران الكريم والسنة النبوية المطهرة حيث كان لمنهاجه أثر كبير في الدعوة إلى الله وبناء القادة العظام والعلماء العاملين كأمثال صلاح الدين الأيوبي، شهاب الدين عمر السهروردي، معين الدين الجشتي وغيرهم من أتباع الطريقة القادرية والمنتشرين في بلاد الشام والعراق ومصر وشرق أفريقيا حيث كان لرجالها الأثر الكبير في نشر الاسلام في قارة اسيا وافريقيا ودورا عظيما في الوقوقف في وجه الغزو والمد الصليبي في المغرب العربي. ولا زال اتباع هذه الطريقة وسالكي هذا المنهاج حتى يومنا هذا من العرب وغيرهم ، وإن كان بمسميات أخرى ولكنها ترتكز على أسس الطريقة القادرية مع ما يشوب هذه الطرق التي تدعي الانتساب إلى الشيخ من بعض الانحرافات التي ادخلت على المنهج النقي الصافي للشيخ الجيلاني رحمه الله .

في هذه الدراسة حاولت أن أبين شيئا من حياته رحمه الله ونشأته وشيوخه ومؤلفاته المعتمدة واوراده التي تكفل أتباعه ومريديه بكتابتها واراء علماء عصره به ، بلاضافة إلى الاسس السبعة التي بنى عليها طريقته ومنهاجه والمتمثلة في التوبة،والزهد، والتوكل،والشكر، والصبر ، والرضا ،والصدق والمستمدة من كتاب الله وأقوال وافعال الرسول علية الصلاة والسلام ، وفلسفته ونظرته بهذه الاسس وانعكاسها عمليا في أخلاق ومعاملات مريديه خاصة والمسلمين عامة .

مفاتيح البحث: عبد القادر الجيلاني، المريدين(الاتباع) ، الطريقة ، المنهاج ، الاسس السبعة.

المقدمة

عبد القادر بن ابي صالح موسى جنكي دوست بن أبي عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عيد الله المحض، ويلقب أيضاً بالمجل بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه[1]وبعض الناس ينكر نسبه إلى علي بن ابي طالب رضي الله عنه[2].

ويرى الشيخ يونس السامرائي أن للشيخ عبد القادر رحمه الله تعإلى صلت نسب بكل من أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما فيقول: إن جدة الشيخ عبد القادر من جهة أبيه (أي ولدة أبيه) واسمها أم سلمة هي من ذرية عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما. ووالدة عبد الله المحض أحد أجداد الشيخ عبد القادر واسمها حفصة هي بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما[3].

مفاتيح البحث: عبد القادر الجيلاني، المريدين(الاتباع) ، الطريقة ، المنهاج ، الاسس السبعة.

كنيته ولقبه

هو الشيخ عبد القادر بن أبي صالح أبو محمد الجيلي[4]. أما الذهبي في سير أعلام النبلاء فيقول عند ترجمته له: "عبد القادر بن أبى عبد الله بن حنكي دوست الجيلي[5]. ويزيد الزركلي في الأعلام فيقول عنه "عبد القادر بن موسى بن عبد الله بني جنكي دوست الحسني أبو محمد محي الدين الجيلاني أو الكيلاني أو الجيلي[6].

[1]. الذهبي، شمس الدين محمد احمد،سير اعلام النبلاء،439/20 ، تحقيق شعيب الارناؤوط. مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية.

ابن رجب الحنبلي ،عبد الرحمن بن شهاب الدين،ذيل على طبقة الحنابلة،صححه محمد حامد الفقي،290/1 ،مطبعة السنة المحمدية،القاهرة،1952م .[2]

السامرائي،يونس الشيخ إبراهيم، الشيخ عبد القادر الجيلاني،ص53 ،مطبعة دار الارش،بغداد، 1990[3]

ابن كثير،الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي،البداية والنهاية ،270/12 ،تحقيق د عبدالله بن عبد المحسن التركي،دار هجر ،مصر/الطبعة الاولى 1419هـ-1998م. [4]

الذهبي، سير اعلام النبلاء ،439/20 .[5]

[6] الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي،الأعلام،47/4 ،دار العلم للملايين

وأما الألقاب التي أطلقت عليه فهي كثيرة توحي بدلالات متعددة إقرارا بفضلهم وبيانّا لعلو منزلتهم، فمن الألقاب التي أطلقت عليه لقب الإمام، أطلقه عليه السمعاني فقالت إمام الحنابلة وشيخهم في عصر. نقله عنه ابن رجب[7] ،ومنها لقب شيخ الإسلام أطلقه عليه الذهبي[8]. وقد لقبه بعض المسلمون بـ "باز الله الاشهب" و "تاج العارفين" و " محيي الدين" و "شيخ الشيوخ" و "قطب الأقطاب"[9]

اتفق المؤرخون القدماء والمحدثون على أن الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله تعإلى قد توفي في سنة561 الهـ، ولكنهم اختلفوا في تاريخ ولادته، فذهب أكثرهم إلى أنه ولد في سنة 470 هـ أو سنة 471 هـ، وقال بعضهم: إنه ولد في سنة 491 هـ [10]. وابن الجوزي يقول في كتابه "المنتظم": "توفي الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه ليلة السبت في ٨ ربيع الأخر سنه 561 هـ، وبلغ تسعين سنة أي أنه ولد في سنة 471 هـ .

ولعل أصح الأقوال في مولد الشيخ عبد القادر ووفاته هو ما ذكره ابن الجوزي في كتابه "المنتظم" الذي قال إنه توفي في سنة 561 هـ وبلغ تسعين سنة: وذلك لان ابن الجوزي كان من معاصري الشيخ عبد القادر رحمهما الله تعإلى [11]. وهناك خلاف في محل ولادته وتوجد روايات متعددة، أهمها أنه ولد في جيلان أو كيلان سنة 470 هـ الموافق 1077 م، وهي تقع في شمال إيران حالياً على ضفاف بحر قزوين ويقال إنه ولد في جيلان العراقية وهي قرية تاريخية قرب المدائن 40 كيلومتر جنوب بغداد. وهو ما ترجحه الدراسات التاريخية الحديثة وتعتمده الاسر الكيلانية ببغداد .[12]

طلبُه للعلم ورحلاته

رحل الشيخ عبد القادر من بلده ومسقط رأسه جيلان إلى بغداد حيث دخلها سنة 488هـ وعمره آنذاك ثماني عشرة سنة، والتقي في بغداد بمجموعة من مشاهير العلماء الذين نهل من مناهلهم واستفاد من معارفهم حتى أصبح عالماً في مختلف العلوم إذ يصفه الذهبي في ترجمته له بأنه: الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة شيخ الإسلام وعلم الأولياء ومحيي الدين .[13]

---

[7] القحطاني، سعيد بن مسفر، الشيخ عبد القادر الجيلاني الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية، ص28 ،ط1،الرياض،1997م.

[8] الذهبي، سير اعلام النبلاء،20 /440 .

[9] الكيلاني، جمال الدين فالح ، الشيخ عبد القادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي، ط1.2011م.

[10] الجيلاني،عبد الرزاق، الشيخ عبد القادر الجيلاني الامام الزاهد القدوة،ص91 ،دار القلم،بيروت،ط1994،1.

[11] المصدر السابق ،ص88.

[12] القحطاني، الشيخ عبد القادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة،ص11.

[13] سير اعلام النبلاء،للذهبي،441/20.

يقول أقطاب الطريق الصوفي، إن النهايات لا تصح الا بصحة البدايات[14] . وأنه لا بد للبذور من الدفن. فما نبت مما لم يصلح دفنه، لا يتمُ نِتاجُة[15] . ولقد كانت البداية والبذرة الدفينة في المنحني الروحي لحياة الإمام، بجيلان، فهناك كانت النشأة الدينية القويمة، والنفحة الصوفية القوي، وكانت علوم القرآن والحديث والفقه وآداب الزُّهَّاد للجدار الصوفي الذي ارتقاه الإمام فيما بعد. وعلى الجملة، فقد كان للإمام بذورُ صِحَاحٌ غُرست بجيلان، وأورقت ببغداد، وتوزعت ثمارها على العالم الإسلامي كله [16].

وفي الطريق إلى بغداد، يحكي المترجمون المحبون للإمام واقعة؛ فقد كان تحت ثيابه اربعون ديناراً حاطتها أمه في موضعٍ خفي، وبينما القافلة تشق الطريق الجبلي في مسيرها إلى بغداد، خرج قاطعو الطريق، فانفرط عقد القافلة، وعلا الصراخ والهياج والنهب، وسكن الشابُّ الجيلاني، حتى انتهى السطو. فإذا بواحدٍ من قاطعي الطريق يتقدم إلية مُستخفاً به: وأنت أيها الشاب، أليس معك شيء؟ يقول الجيلاني: معي أربعون ديناراً. يتعجب اللص وأين هي؟ يرد: محاطة تحت ثيابي. يتحول تعجب اللصوص إلى حنق، يريد الفتك بالشاب الذي بدا له أنه يهزأ به، يقوده إلى زعيم الجماعة القاطعة، يحكي ما دار بينهما، يسأله الزعيم نفس الأسئلة، فيتلقى نفس الردود. يتعجب: إن كان معك الدنانير كما تقول فأخرجه! يُخرج الجيلاني الدنانير، فينقلب التعجب إلى دهشةٍ ووَجَلٍ من الشاب. يترجم الزعيم تعجُّبه ودهشته ووجله في السؤال: لماذا تفعل ذلك وقد كنت بمنأى من السطو لو أنكرت ما معك؟ فيقول "لأنني عاهدتُ أُمَّي قبل خروجي على الصدق، وأنا حافظٌ لعهدي معها". هنا يعتصر الوجدُ قلب الزعيم، ويرتجف قلبه النائم في ضلوع الفسق، ويتأمل: "هذا الفتى يحافظ على عهده لأمه حتى يُنهب ويكاد يقتل، وأنا أخوان عهد الله فأنهبُ وأقتلُ". يرد الدنانير لصاحبها، ويرد ما سلبه للقافلة، ويعلن: "اعلموا إنني تائبٌ إلى ربي، مقلعٌ عما اعتدته، مقبلٌ على عمل الخير". وتحت تأثير روعة توبة الزعيم، وانفعالاً بموقفه؛ يعلن بقية القُطَّاع عودتهم إلى طريق الله تائبين.

تلك هي الواقعة التي يرويها الشطنوفي واليافعي والتادفي، والعهدة فيها على الرواة إذ نجدها ايضاً في مواضع أخرى منسوبةً لغير الجيلاني وإذا لم تكن الواقعة حقيقية، فإنها تدل على حقيقة اعتقاد القاهرية في بركة شيخهم وألوية ولايته المرفوعة منذ الصغر. ومع أن الواقعة بعيدة في مصداقيتها عن عوام الأفهام، إلا أنها غير مستحيلة الوقوع[17] .

---

[14] الهروي، عبد الله الأنصاري،منازل السائرين،ص4،دار الكتب العالمية،طبعة الباب الخلبي 1966.

[15] السكندري،ابن عطاءالله،الحكم العطائية،ص36،تحقيق الدكتور عبد الحميدمحمود،دار الشعب 1985.

[16] زيدان، محمد يوسف طه، باز الله الاشهب،ص39،ط1،دار الجيل،بيروت،1991.

[17] زيدان، باز الله الاشهب،ص40.

أمضي في طلب العلم اثنين وثلاثون سنة درس فيها مختلف العلوم الشرعية ثم جلس للتعليم والوعظ سنة 520 هـ. وكان خلال فترة طلبه للعلم رغم طولها يعاني من ضيق العيش ويكابد مرارة الحرمان إلا أن ذلك لم يفت في عزيمته ولم يعوقه عن المثابرة في طلب العلم[18] ، وقد نقل ابن رجب ما يصور لنا تلك المعاناة من كلام الشيخ نفسه حيث يقول:

وكنت أقتات الخرنوب. الشوك وقمامة البقل وورق الخس من جانب النهر والشط، وبلغت الضائقة في غلاء نزل ببغداد أن بقيت اياماً لم آكل طعاماً بل كنت أتتبع المنبوذات أطعمها يوماً من شدة الجوع لعلي أجد ورق الخس أو البقل، أو غير ذلك، فأتقوت به، فما ذهبت إلى موضع إلا وغيري قد سبقني إليه، وإن وجدت أجد الفقراء يتزاحمون عليه فأتركه حياء، فرجعت أمشي وسط البلد لا أدرك منبوذاً إلا وقد سبقت إليه حتى وصلت إلى مسجد ياسين بسوق الرياحين ببغداد وقد أجهدني الضعف وعجزت عن التماسك فدخلت إليه ووقعت في جانب منه وقد كدت أصافح الموت، إذ دخل شاب أعجمي ومعه خبز صاف وشواء وجلس يأكل فكنت أكاد كلما رفع يده باللقمة أن أفتح فمي من شدة الجوع حتى أنكرت ذلك على نفسي فقلت: ما هذا وقلت: ما ههنا إلاَّ الله او ما قضاه عليَّ من الموت إذا التفت إليّ العجمي فرآني فقال: بسم الله يا أخي فأبيت فأقسم علي فبادرت نفسي فخالفتها فأقسم ايضاً فأجبته فأكلت متقاصراً، فاخذ يسألني: ما شغلك؟ ومن اين أنت؟ وبمن تُعرف؟ فقلت: أنا متفقه من جيلان. فقال: وأنا من جيلان فهل تعرف شاباً جيلانياً يسمى عبد القادر فقلت أنا هو فأضطرب وتغير وجهه وقال: والله لقد وصلت إلى بغداد ومعي بقية نفقة لي فسالت عنك فلم يرشدني أحد، ونفدت نفقتي ولي ثلاثة ايام لا أجد ثمن قوتي إلاّ مما كان لك معي وقد حلَّت لي الميتة وأخذت من وديعتك هذا الخبز والشواء، فكل طيباً فإنما هو لك وانا ضيفك الآن بعد أن كنت ضيفي. فقلت له وما ذاك فقال أمك وجهت لك معي ثمانية دنانير فاشتريت منها هذا للاضطرار فأنا معتذر إليك، فسكتُّه وطيبت نفسه ودفعت إليه باقي الطعام وشيئاً من الذهب برسم النفقة فقبله وانصرف[19] .

كان دخول الجيلاني إلى بغداد انقلابا في المنحنى الشـــخصـــي للجيلاني، وانقلابا في واقع بغداد الديني. ففي بغداد وما حولها، تنقَّل الجيلاني أطوار الرحلة الممتدة من الخلق، من الدنيا إلى الآخرة، من الأرض إلى الســـماء. وفي بغداد أزهرت شجرة ولايته توبةً وعودةً بأهل الزمان إلى حضن الإسلام النقي. وهكذا شهدت حاضرة العالم الإسلامي.

[18] القحطاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية،ص32.

[19] ابن رجب، ذيل على طبقة الحنابلة،298/1.

شيوخه واساتذته :

1- أبو الخطاب محفوظ بن أحمد ين الحسن بن أحمد الكلوذاني أبو طلب البغدادي: المولود سنة 432 هـ والمتوفى سنة 510 هـ وهو أحد أئمة المذهب الحنبلي وأعيانه كان عالماً بالحديث والفقه مذهباً وأصولاً وخلافاً عظيم التحقيق والتدقيق فيه وكان مفتياً صالحاً وعابداً ورعاً حسن العشرة، له نظم رائق وله كتاب الهداية، وكتاب رؤوس المسائل، وكتاب أصول الفقه، وصفه الذهبي حين ترجم له في السير بانه العلامة الورع شيخ الحنابلة وقال عنه بأنه من أفاضل العلماء خيراً صادقاً حسن الخلق حلو النادرة من أذكياء الرجال[20] أبوسعيد: المبارك بن علي المخرمي شيخ الحنابلة تفقه بالقاضي أبي يعلى وبنى مدرسة باب الأزج درَّس بها بعده تلميذه الشيخ عبد القادر الجيلاني بعد أن طوَّرها وأدخل عليها بعض التوسعة والتجديد، وكان نزيهاً عفيفاً، وقد فتحت عليه الدنيا، فبنى داراً وحماماً وبستاناً، مات سنة 513 هـ [21].

2- أبو الوفاء علي بن عقيل بن عبد الله البغدادي: الإمام العلامة البحر شيخ الحنابلة المتكلم صاحب التصانيف، ولد سنة 431 هـ وكان يتوقد ذكاءً وكان بحر معارف وكنز فضائل لم يكن له في زمانه نظير. وقد نقل عنه الذهبي قوله: عصمني الله في شبابي بأنواع من العصمة، وقسر محبتي على العلم وما خلطت لعاباً قط، ولا عاشرت إلاً أمثالي من طلبة العلم وأنا الآن في عشر الثمانين أجد من الحرص على العلم أشد مما كنث اجده وانا ابن العشرين. وبلغت لاثني عشرة سنة وانا اليوم لا أرى نقصاً في الخاطر والفكر والحفظ وحدَّة النظر بالعين لرؤية الأهلة الخفية إلاً ان القوة ضعيفة.

قال ابن الجوزي: كان ابن عقيل ديناً حافظا للحدود، توفي له ابنان فظهر منه من الصبر ما يتعجب منه، وكان كريماً ينفق ما يجد وما خلَّف سوى كتبه وثياب بدنه، توفي سنة 513هـ.

3- حماد صن مسلم الدباس: كان الشيخ عبد القادر من تلامذته، وقد أثنى ابن تيمية على الجيلاني وشيخه حماد حيث قال: فأمر الشيخ عبد القادر وشيخه حماد الدباس وغيرهما من المشايخ أهل الاستقامة رضي

[20] الذهبي سير اعلام النبلاء ،442/20.

[21] ابن رجب،ذيل على طبقة الحنابلة،116/1

الله عنهم: بانه لا يريد السالك مراداً قط وأنه لا يريد مع إرادة الله عز وجل سواها بل يجري فعله فيه فيكون هو مراد الحق.

4- ابو محمد جعفر بن احمد البغداي السراج: الشيخ البارع المحدث المسند بقية المشايخ كتب يخطه الكثير وصنَّف الكتب، كان صدوقاً ألف في فنون شتَّى، وكان ممن يفتخر برؤيته ورواياته لديانته ودرايته، ثقة مأمون عالم صالح، ولد سنة 417هـ وتوفي سنة 500هـ.

5- أبو عبد الله يحيى بن الإمام أبو علي الحسن بن أحمد بن البناء البغدادي الحنبلي: كان الحافظ عبد الله بن عيس الأندلسي يثني عليه ويمدحه ويطربه ويصفه بالعلم والفضل وحسن الأخلاق وترك الفضول وعمارة المسجد وملازمته، ولد سنة 453هـ وتوفي سنة 531هـ

6- أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن بيان البغدادي: كان صحيح السماع ولا يعرف في الإسلام محدث وازاه في قدم السماع ولد سنة 413هـ وتوفى سنة 510هـ.

مؤلفاته

لقد اشتغل الشيخ عبد القادر الجيلاني بالوعظ والدرس وأمضى معظم حياته في العلم والتعليم وكان اهتمامه بالتأليف والتدوين محدوداً ولو أنه صنف علومه ومعارفه كغيره من العلماء في عصره وفي العصور التي سبقته والتي جاءت بعده، لترك لنا ثروة علمية كبيرة من المؤلفات النافعة في العلوم التي مرَّ أنه من أهل الإتقان فيها.

ولعلَّ عدم اهتمام الشيخ يرجع إلى بعض الأسباب منها[22] .

1. إحساسه بعدم الحاجة إلى التدوين وشعوره بان المكتبة الإسلامية قد أتخمت بالعديد من المؤلفات والمصنفات في شتى ميادين العلم.
2. عدم وجود الوقت الكافي للتأليف في ظل إقبال الناس على دروسه واستماعهم إلى مواعظه.
3. اشتغاله فيما يتبقى له من الوقت بأداء العبادات والتقرب إلى الله بكثرة الأعمال الصالحة من تهجد وتلاوة وذكر.

[22] القحطاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية،ص51.

4. شعوره بأن الآثار العلمية ليست مقصورة على المؤلفات فقط، فقد يترك العالم آثاراً علمية نافعة، ويغرس غرساً يكون أثره ونفعه أفضل من نفع المؤلفات وهذا ما حصل للشيخ عبد القادر فقد ترك مدرسة كبيرة عامرة ببغداد لها مكانتها العلمية وشهرتها الواسعة في علوم الشريعة[23].

وهذه المؤلفات يمكن تقسيمها إلى قسمين:

أ- القسم الأول: ما صنَّفه وكتبه بنفسه وهو ثلاث كتب فقط [24]وهذا قام بتصنيفه استجابة لإلحاح إخوانه وتلاميذه حيث يقول في مقدمة كتابه "الغنية": "ألح عليَّ بعض أصحابي وشدّد في الخطاب في تصنيف هذا الكتاب لحسن ظنه في الإصابة والصواب والله هو العاصم في الأقوال والأفعال، والمطلع على الضمائر والنيات والمنعم المتفضل بتسهيل ما أراد وإليه عزَّ وجلَّ الالتجاء بتطهر القلوب من الرياء والنفاق. وإبدال السيئات بالحسنات إنه غافر للذنوب والخطيئات وقابل التوبة من العباد، فلما رأيت صدق رغبته في معرفة الآداب الشرعية من الفرائض والسنن والهيئات ومعرفة الصانع عز وجل بالآيات والعلامات".

إلى أن قال: "فأجبته إلى ذلك وسارعت مشمراً مبتغياً محتسباً للثواب راجياً للنجاة في يوم الحساب إلى جمع هذا الكتاب بتوفيق رب الأرباب الملهم للصواب[25] .

فيما يخص مؤلفات الإمام الجيلاني، وما نسب إليه من آثار بعضها صحيح وبعضها منحول:

1- الغُنية

يعدُّ كتاب " الغُنية لطالبي طريق الحق" أشهر آثار الإمام الجيلاني على الإطلاق، وهو واحد من المؤلفات التي توضع في مرتبةٍ واحدةٍ. يقول الجيلاني في سبب تأليف الكتاب إنه وضعه: إجابةً لبعض الأصحاب الراغبين في معرفة الآداب الشرعية من الفرائض والسنن والهيئات، ومعرفة الصانع عز وجل بالآيات والعلامات، ثم الاتعاظ بالقرآن والالفاظ النبوية. ومعرفة أخلاق الصالحين.

وقد حظه "الغُنية" بالاهتمام على مدى القرون الممتدة من وفاة مؤلفها حتى اليوم، وتوافرت نسخها الخطة وطبعاتها في كافة البلدان، وتناولها المسلمون بأيدي العناية والنسخ والمطالعة. وقامت حولها بعض الأعمال، منها كتاب (نظم الغُنية)

---

[23] القحطاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية،ص52.

[24] القحطاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية،ص53.

[25] الجيلاني،عبد القادر،الغنية لطالبي الحق،بغداد،1949م.

للشيخ نور الدين البريفكائي الذي وضع عبارات الغُنية في أبيات شعرية ليسهل حفظها، ومنها ترجمة إلى التركية قام بها سليمان جلبي المعروف بكتابي، بعنوان "عمدة الصالحين في ترجمة غنية الطالبين للكيلاني الشهير بغوث الأعضم والمتخلَّص بمحي الدين) وقد أصدرتها في جزئين سنة 1304 هجرية، المطبعة العثمانية بإسطنبول[26] .

وقد ظهرت مؤخراً طبعة محقَّقة من الغنية في ثلاثة مجلدات قام بها فرج توفيق الوليد (الأستاذ المساعد بكلية الشريعة، جامعة بغداد) بعد مقابلة النص على سبعة أصول مخطوطة ومطبوعة، مع التعليق والتقديم والفهارس.

2- فتوح الغيب

تشير الدلائل إلى أن هذا الكتاب الذي يضم 78 مقالة غير مؤرخة هو أقدم مجموعة من مجالس الشيخ، فقد وضع عليه ابن تيمية (المتوفى سنه 728هـ شرحا تحتفظ المكتبة الظاهرية بنسخة خطية منه بخط المؤلف وهي إحدى النسخ التي اعتمد عليها الدكتور مصد رشاد سالم في إخراجه النص المحقق لهذا الشرح اللطيف الذي اقترب فيه ابن تيمية من مشارب اهل الذوق.

وله طبعات مستقلة توالي مكتبة الحلبي بالأزهر إخراجها كلما نفدت. وقد قامت هذه المكتبة بإلحاق جملة قصائد بهذه الطبعات، نسبتها جميعاً لإمام الجيلاني، إحداها (قصيدة النادرات العينية) لعبد الكريم الجيلي (ويبدو أن القائم على طبع الكتاب كان يعرف أن القصيدة ليست للإمام الجيلاني، لأنه حذف منها الأبيات التي ترجم فيها عبد الكريم الجيلي لنفسه ذاكراً تاريخ مولده[27] .

غير أن صاحب قلائد الجواهر قد ذكر أن الكتاب المذكور من جمع وترتيب أحد تلاميذ الشيخ عبد القادر وهو الشيخ زين الدين المرصفي الصياد من المواعظ التي كان يمليها في مدرسته وربطه يؤيد ذلك أن كل مقالة تبدأ هكذا (قال رضى الله عنه كذا في المدرسة أو في الرباط). وسواء كانت من تأليف الشيخ وكتابته بنفسه أو من إملاءاته على تلاميذه، فهي في النهاية تؤول إليه باعتبارها من آثاره[28] .

---

[26] زيدان، باز الله الاشهب،ص89.

[27] المصدر السابق.

[28] القحطاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية،ص57

3- الفتح الرباني والفيض الرحماني

وهو المجموع الثاني من مجالس الإمام الجيلاني، التي بدأت يوم الأحد الثالث من شوال سنة 545هـ، وانتهت في أول رجب سنة 546 هجرية. وتشير بعض المصادر إلى أن جامع هذه المجالس هو (عفيف الدين بن المبارك) أحد خلفاء الإمام الجيلاني[29] . وقد أشارت بعض المصادر إلى صحة نسبته إليه.

وإذا قورن في عمومه بكتابيه السابقين نجد أنه يشبههما إلى حد كبير في الأسلوب والموضوعات المطروحة خصوصاً كتاب فتوح الغيب والكتاب طبعته مكتبة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة سنة 1979م ومكتبة دار الألباب بدمشق [30].

ب- القسم الثاني: لم يتم تأليفهُ وإنما قام طلابهُ بجمعها وهي جملة أورده وأحزاب منسوبة للإمام الجيلاني، يعتقد القادرية أنه كان يداوم على قراءتها، ومن ثمَّ فهم يقتدون به في ذلك؛ وهذه المأثورات هي:

1- الأوراد القادرية

وهو كتاب يشتمل على بعض الأدعية والأحزاب والصلوات المبتدعة والقصائد الشركية جمعها المدعو/ محمد سالم بواب وطبعتها دار الألباب بدمشق عام 1992م، ونسبتها إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني،

2- سر الاسرار

وهو مخطوط اعتادت الفهارس أن تنسبه للإمام الجيلاني. توجد به نسخة بدار الكتب المصرية بعنوان (سر الأسرار في معرفة الجواهر والأحجار) محفوظة تحت رقم 51 طبيعيات تيمور، جاءت نسبته إلى الإمام الجيلاني على ورقة العنوان. وقد ظننا أول الأمر ان كلمتي (الجواهر والأحجار) إشارة إلى معنى صوفي معين، لكننا بمطالعة الكتاب وجدنا دلك لا يتضمن أية إشارات! فهو كتاب في خواص الأحجار الكريمة، يقترب كثيراً من الكتاب الشهير لأحمد بن يوسف التيفاشي: أزهار الأفكار في جواهر الأحجار [31]

وعادةً ما تنسب الفهارس هذا الكتاب للإمام الجيلاني بعناوين مختلقة، فنجده عند بروكلمان بعنوان (سر الاسرار ومعدن الأنوار) وعند البستاني بعنوان (جواهر الأسرار ولطائف الأنوار) أما عمر رضا كحالة فقد ذكر هذا المؤلف بعنوان

---

[29] السامرائي،عبد القادر الجيلاني،ص17.

[30] القحطاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية،ص60.

[31] زيدان، باز الله الاشهب،ص102.

آخر هو (سر الأسرار ومظهر الأنوار فيما يحتاج إليه الأبرار) وقد ذكر السامرائي أنه طُبع باللغتين العربية والأردية في باكستان بعنوان: سر الأسرار في التصوف.[32]

3- الفيوضات الربانية في المآثر والآوراد القادرية

وهو من جمع وترتيب المدعو/ إسماعيل بن السيد محمد القادري وقد نسبه الزركلي في الأعلام إلى الشيخ عبد القادر وهذا وهمٌ منه[33] . والكتاب يحتوي على كثير من البدع والخرافات والأوراد الشركية كما اشتمل على تقسيمات للنفس في مقامات الصوفية وهي تقسيمات لا دليل عليها، والكتاب مطبوع لدى مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة 1353هـ.

4- تفسير القرآن

وهو مخطوطٌ في مجلدين أشارت عدة مصادر إلى وجود نسخة كاملة له في مكتبة رشيد كرامة مفتي طرابلس مؤرخة بسنة 622 هجرية وأخرى ناقصة بالدائرة الهندية. ولم يُشر الإمام الجيلاني في مؤلفاته الأخرى إلى هذا التفسير من قريب أو بعيدٍ، ولم يُشر إليه أيضاً من ترجموا للإمام.

5- مراتب الوجود:

وهو واحد من المؤلفات التي نسبها البغدادي إلى الإمام الجيلاني والذي يبدو أن الأمر قد اختلط عليه لتشابه اسمي الإمام الجيلاني وعبد الكريم الجيلي، حيث أن الأخير هو مؤلف هذا الكتاب المعروف باسم: مراتب الوجود وحقيقة كل موجود. وهناك عدة مؤلفات منسوبة إلى الإمام الجيلاني، انفردت مصادر عديدة بإشاراتٍ مفردها إليها، ومعظمها إما مخطوط أو مفقود.[34] ومن هذه المؤلفات:

- الكبريت الأحمر.
- جوهرة الكمال.
- مختصر في المعادن.
- جواهر الرحمن.

---

[32] السامرائي،عبد القادر الجيلاني،ص17.

[33] الزركلي،الاعلام،47/4.

[34] زيدان، باز الله الاشهب،ص103.

وهناك ما لا حصر له من المؤلفات المنسوبة إلى الإمام الجيلاني، ذكرتها المصادر التي ترجمت له وأثبتتها فهارس المكتبات الخطية[35] (المصدر السابق).

الطريقة القادرية

الطريقة في اللغة السيرة وطريقة الرجل مذهبه يقال مازال فالان على طريقة واحدة أي على حالة واحدة وفلان حسن الطريقة، والطريقة الحال يقال: طريقة حسنة وطريقة سيئة[36].

الطريقة هي السلوك الذي يوصل إلى رضا اهلا سبحانه وتعإلى. وقال الجرجاني في كتابه (التعريفات): هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعإلى من قطع المنازل والترقي في المقامات.

وفي اصطلاح المتصوف: هي السيرة المختصرة بالسالكين إلى الله من قطع المنازل والترقي في المقامات.

وقيل هي التقليل من الدنيا في كل شيء والقناعة من الله في بأدنى شيء والتواضع لله في كل شيء[37] .

وعند ابي طالب المكي: أنها بمعنى السنة المباركة فيقال عند الصوفية طريق وطريقة وسنن وسنة وحجة[38] .

وكما تعددت المذاهب الفقهية على حساب اجتهاد الفقهاء المجتهدين تعددت الطرق على حساب اجتهاد اعلام السلوك العاملين المخلصين، واصل واحد عند الجميع وهو الكتاب والسنة، ولكن اختلفت الاجتهادات، وهو رضاء المولى عز وجل، ولكن اختلفت الوسائل.

والطريقة القادرية سميت بذلك لانتسابها إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي يعتبر المؤسس الأول لها خصوصا بشكلها الجماعي والمنظم والقائم على جمع المريدين وربطهم بالمشايخ الطريقة لتأديبهم وتربيتهم حيث كان التصوف يقوم على أساس فرض لا أثر لتجمع فيه.[39] .

يقول الجيلاني في كتابه الغينة: "ويجب على المبتدئ في هذه الطريقة اعتقاد الصحيح الذي هو الأساس فيكون على عقيدة السلف الصالح[40] .

---

[35] المصدر السابق.

[36] ابن منظور، لسان العرب،221/10، دار المعارف، بيروت،1956م.

[37] الشرقاوي، حسن، معجم الفاظ الصوفية،ص200، مؤسسة مختار، القاهرة،1992م.

[38] المكي،أبي طالب،قوت القلوب 282/2،ط1،الطبعة المصرية،القاهرة،1351هـ.

[39] القحطاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية،ص636.

[40] الجيلاني،الغنية،ص2/ 163

تأسيس الطرق الصوفية لم يكن امراً مستقبحاً في زمانه بحيث ينفروا منها هو او غيره من الناس بل كانت امراً سائغاً ومشهوراً عند الناس.

وكما ظهر الشطط والانحراف في الفقه والاعتقاد فظهرت فرق المعتزلة والمرجئة والجبرية والخوارج وغيرها، كذلك ظهر الشَّطَط والانحراف في التصوف، وخاصة بعدما تسرَّبت الثقافات الغريبة كالهندية واليونانية والبيزنطية والفارسية إلى الثقافة الإسلامية، فظهرت طرق صوفية ضالة مارقة من الدين كالحلولية والحالية (الذين يقولون: للشيخ حالة خاصة لا يعبر عنها بالشرع) والشمرانية (الذين يحلون الملاهي والاختلاط) والحبية (الذين يقولون إذا بلغ العبد المحبة سقط عنه التكليف) والمتكاسلة (الذين يتركون الدنيا ويسألون على الأبواب) وغيرها.

وجمع الشيخ عبد القادر رحمه الله تعإلى بين الفقه والتصوف، وكان يقدَّمُ الفقه على التصوف لأنه حاكم عليه، وهو نفسه كان فقيهاً قبل أن يكون متصوفاً.

ومنذ سنة 521 هـ تصدر للتدريس والإرشاد، فأقبل عليه الناس لما رأوا فيه من فهم وذكاء وإخلاص، وذاع صيته بين العباد ووصل إلى أقصى البلاد، ولما رأى اختلاف الفقهاء، أصحاب مذاهب أهل السنة والجماعة، وما يحدث بينهم من خصومات، سعى جهده للتوفيق بينهم، ولإزالة أسباب الخالف في المسائل الفرعية ما دام الأصل واحداً عندهم جميعاً وعندما رأى ضلال بعض الفرق الصوفية وخروجها من ربقه الدين، حاربها وفنّد زيغها وضلالها. وأخضع الطريقة للشريعة لكي لا تضل ولا تريغ، بل قدَّم الشريعة على الطريقة فهي الاصل وهي الحكم الفصل، وكثيراً ما كان يقول: عليكم بالاتباع بلا ابتداع، تفقه ثم اعتزل، طرْ إلى الحق بجناحي الكتاب والسنة، كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة. وبذلك أعاد ربط السلوك بالفقه كما كان على عهد النبي صلى الله تعإلى عليه وآلة وسلم والخلفاء الراشدين من بعده. ثم سعى بعد ذلك إلى جمع صحاب الطرق السنية الموجودين في عصره والتأليف بيهم: ما داموا جميعهم يستقون من متبع واحد هو الكتاب والسنة، وقد اجتمع مع كبار مشايخ التزكية في عصره كعلي بن الهيتي وبقا بن بطو، وأبي سعيد القيلوبي، وعدي بن مسافر، وموسى الزولي، وأحمد الرفاعي، وعبد ألرحمن، الطفسونجى، وقضيب البان، وحياة بن قيس وغيرهم. كما اجتمع رحمه الله تعإلى في الحج بالشيخ أبي مدين شيخ المغرب، وبالشيخ عثمان بن مرزوق القرشي شيخ مصر، فأقراه على ذلك، وذلك فعل الشيخ رسلان الدمشقي شيخ الشام.

وهكذا وفّق بين الفقه والتصوف وآخى بين الفقهاء والمتصوفة، وأخضع الحقيقة للشريعة، وصفّى التصوف من البدع والضلالات التي دخلت علية، وهكذا دان له الفقهاء والمتصوفة في زمنه فما كانوا يخالفون أمره.

مكانة الشيخ عبد القادر العلمية وثناء العلماء.

جمع الشيخ عبد القادر رحمة الله تعإلى من الصفات الحميدة والاخلاق الكريمة والتقوى والورع ما جعل العلماء القدماء والمحدثين يلهجون يذكره ويثنون عليه، ويجمعون على احترامه وتقديره، حتى ابن تيمية وابن كثير وابن القيم وغيرهم. نظراً لأنه أخضع التصوف للفقه وخلصه من كثير ممَّا اعتوره من الشَّطط والمخالفات التي كادت أن تحيد بالخطّ الذي رسمه له المتصوفة الاوائل وهو إصلاح المجتمع [41]

لقد كانت مكانة الشيخ عبد القادر العلمية أكبر من أن تحصر بسطور فقد حفرت بالقلوب ويكفيه شهادة العلماء له بالفضل والمكانة ومن هذه الأقوال:

يقول ابن تيمية رحمة الله: (وكلام الشيوخ الكبار كالشيخ عبد القادر وغيره) وقال: (والشيخ عبد القادر ونحوه من أعظم مشايخ زمانهم أمراً بالتزام الشرع والأمر والنهي وتقديمة على الذوق والقدر ومن أعظم المشايخ أمراً بترك الهوى والإرادة) وكان رحمة الله إذا نقل عنه يقول: (قال الشيخ عبد القادر قدّس الله روحه)[42]

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير: الشيخ محيي السنة والدين عبد القادر بن أبي صالح الجيلي دخل بغداد فسمع الحديث واشتغل به حتى برع فيه. وكان له اليد الطولي في الحديث والفقه والوعظ وعلوم الحقائق، وكان له سَمْت حسن، وصمت عن غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر للخلفاء والوزراء والسلاطين والقضاة والخاصة والعامة. يصدعهم بذلك على رؤوس الأشهاد، ورؤوس المنابر وفي المحافل، ولا يأخذه في الله لومة لائم، وكان فيه زاهد كثير، وله أحوال خارقات للعادات، ومكاشفات، وبالجملة كان من سادات المشايخ [43].

وقال محيي الدين النووي في كتابه "بستان العارفين" : ما علمنا فيما بلغنا من الثقات الناقلين كرامات الأولياء أكثر مما وصل إلينا من كرامات القطب شيخ بغداد محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي الله عنه، كان شيخ السادة الشافعية والسادة الحنابلة ببغداد، وانتهت إليه رياسة العلم في وقته، وتخرج بصحبته غير واحد من الأكابر، وانتهى إليه أكثر أعيان

[41] عبد الرزاق، الشيخ عبد القادر الجيلاني الامام الزاهد القدوة،ص294.

[42] ابن تيمية،تقي الدين،مجموع الفتاوي،488/2،جمع عبد الرحمن بن قاسم،طبعة الرئاسة العامة للحرمين الشريفين.

[43] التادفي،قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر،ص6.

مشايخ العراق، وتتلمذ له خلق لا يحصون عدداً من أرباب المقامات الرفيعة، وانعقد عليه إجماع المشايخ والعلماء رضي الا عنهم بالتبجيل والإعظام، والرجوع إلى قوله والمصير إلى حكمه، وأهرع إليه أهل السلوك من كل فج عميق، وكان جميل الصفات، شريف الاخلاق، كامل الادب والمروءة، كثير التواضع، دائم البِشْر، وافر العلم والعقل، شديد الاقتفاء لكلام الشرع وأحكامه، معظماً لأهل العلم، مكرَّماً لأَرباب الدين والسنة، مبغضاً لأهل البدعة والاهواء، محبا لمريدي الحق، مع دوام المجاهدة، ولزوم المراقبة إلى الموت، وكان له كلام عالٍ في علوم المعارف شديد الغضب إذا انتهكت محارم الله سبحانه وتعإلى، سخي الكف، كريم النفس على أجمل طريقة، وبالجملة فلم يكن في زمنه مثله رضي الله عنه[44] .

قال القاضي أبو عبد الله المقدسي: "سمعت شيخنا ابن قدامة يقول: دخلنا بغداد سنة: (561هـ) فإذا الشيخ الإمام محي الدين عبد القادر ممن انتهت إليه الرئاسة بها علما وعملاً وحالاً وإفتاءً وكان يكفي طلب العلم عن قصده غيره من كثرة ما اجتمع فيه من العلوم والصبر على المشتغلين وسعة الصدر وكان ملء العين وجمع الله فيه أوصافا جميلة وأحوالا عزيزة وما رأيت بعده مثله".

ووصفهُ ابن رجب الحنبلي عنه: "شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشايخ وسيد أهل الطريقة في وقته محي الدين أبو محمد صاحب المقامات والكرامات والعلوم والمعارف والأقوال المشهورة".

وقال عنه ابن الجوزي: "تكلم على الناس بلسان الوعظ وظهر له صيت بالزهد وكان له سمت وصمت وكان يجلس عند سور بغداد مستنداً إلى الرباط ويتوب عنده في المجلس خلق كثير[45]

وقال بن حجر العسقلاني: "كان الشيخ عبد القادر متمسكاً بقوانين الشريعة، يدعو إليها وينفر عن مخالفتها، ويشغل الناس فيها، مع تمسكه بالعبادة والمجاهدة، ومزج ذلك بمخالطة الشاغل عنها غالباً كالأَزواج والأَولاد، ومن كان هذا سبيله كان أكمل من غيره، لأنها صفة صاحب الشريعة صلى الله علية وسلم" [46]

---

[44] المصدر السابق،ص137 بتصرف.

[45] ابن رجب،ذيل على طبقات الحنابلة،ص294/1.

[46] التادفي ،قلائد الجواهر،ص23.

الأصول السبعة في الطريقة القادرية:

اولاً: التوبة

إن الله سبحانه وتعإلى يحب التوابين، ويحب المستغفرين، لأَن هذه الصفة تحقق عبودية الإنسان لله رب العالمين، واعترافه بربوبية الله سبحانه وتعإلى للخلق اجمعين. لذلك كان النبي صلى الله تعإلى عليه وآلة وسلم يقول: "والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة" [47]

والتوبة هي اول طريق السالكين، لذلك كان الشيخ عبد القادر رحمة الله تعإلى يحثُّ كثيراً على التوبة، ويفتح أبوابها على مصاريعها أمام الناس جميعاً، يقول أبو الحسن الندوي: ظهر في بغداد رجلٌ قوي الشخصية، قويُّ الإيمان، قوي العلم، قوي الدعوة، قوي الشخصية، قوي التأثير، هو الشيخ عبد القادر، فجدَّد دعوة الإيمان والإسلام الحقيقي والعبودية الخالصة وحارب النفاق، وفتح باب البيعة والتوبة على مصراعيه، يدخل منه المسلمون يجدَّدون العهد والميثاق مع الله تعإلى، ظلَّ الشيخ يربيهم ويحاسبهم ويشرف عليهم فأصبحوا يشعرون بالمسؤولية بعد البيعة والتوبة وتجديد الإيمان [48]

والشيخ عبد القادر يعتبر التوبة باب الدخول على الله سبحانه لنيل رضوانه في الدنيا والآخرة فينبغي اغتنامها وعدم تفويت فرصتها يقول: "اغتنموا باب التوبة وادخلوا مادام مفتوحاً لكم" [49]

ويبين أن المهم ليس التوبة فحسب ولكن المهم هو الاستمرار والثبات عليها فيقول: " تب واثبت على توبتك فليس الشأن في توبتك الشأن في ثبوتك عليها ليس الشأن في غرسك الشأن في نبوته وتغصينه وثمرته".

وقد جعلها بمنزلة الماء الذي تزول به نجاسة الذنوب وقذارة المعاصي. إذ يقول: "يا غلام لا تيأس من رحمة الله بمعصية ارتكبتها بل اغسل نجاسة ثوب دينك بماء التوبة والثبات عليها والإخلاص فيها"[50]

ثم يوضح معنى قوله تعالى: "**وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ**" (القرآن، النور 18: 31) بأن هذا "الخطاب للعموم بالتوبة وأن حقيقة التوبة في اللغة الرجوع يقال تاب فلإن من كذا أي رجع عنه فالتوبة هي الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود في الشرع والعلم بأن الذنوب والمعاصي مهلكات مبعدات من الله عز وجل.

---

[47] البخاري، جامع الأصول، كتاب الاستغفار.5948.

[48] الندوي،أي الحسن،رجال فكر والدعوة،282،دار ابن كثير،دمشق.

[49] الجيلاني،عبد القادر،الفتح الرباني والفيض الرحماني،ص18،ط1،دار الفكر العلمية،بيروت،1983.

[50] المصدر السابق.

ومن جنته وتركها مقرب إلى الله عز وجل وجنته فكأنه عز وجل يقول: ارجعوا إلى من هوى نفوسكم ووقوفكم مع شهواتكم عسى أن تظفروا ببغيتكم عندي في المعاد وتبقوا في نعيمي في دار البقاء والقرار وتفلحوا وتفوزوا وتنجوا وتدخلوا برحمتي الجنة العليا المعدة للأبرار".

أما تدين الشيخ عبد القادر رحمة الله تعالى في التوبة فيشرحها بهذا القول: "حقيقة التوبة في اللغة الرجوع، فالتوبة هي الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود في الشرع، والعلم بان الذنوب والمعاصي مهلكات مُبْعدات من الله عز وجل ومن جنته. والتوبةُ النصوح هي الخالصة لله تعإلى، الخالية من الشوائب، والنصح مأخوذ من النصاح وهو الخيط، أي هي توبة مجرَّدة لا يتعلَّق بشيء. والتوبة من سائر الذنوب واجبة بإجماع الأمة. واجبة من الكبائر والصغائر. وهي فرضُ عين في حق كل شخص، إذا لا يتصور أن يستغنى عنها أحد من البشر... فالكل مفتقرٌ إلى التوبة وإنما يتفاوتون في المقادير، فتوبة العوام من الذنوب، وتوبة الخواص من الغفلة، وتوبة خاص الخاص من ركون القلب إلى ما سوى الله عز وجل. حتى الأنبياء عليهم السلام لم يستغنوا عن التوبة كآدم علية السلام: "**فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ**"[51] ، ونوح علية السلام: "**رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ**" [52]، وإبراهيم علية السلام: "**وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ**" [53]، وموسى علية السلام: "**قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ**"[54] ، وداود علية السلام: "**فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ**" [55]

لذلك جاء في الدعاء المأثور الذي ينبغي أن يدعو المرء به صباح مساء: "اللهم إني أعوذُ بك من أن أُشْرِكَ بك شيئاً وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم، إنك أنت علام الغيوب[56]

ثم قال رحمة الله تعإلى: " إذا رأيت التغيُّر والتضيق في المعيشة والتعسُّر في الرزق فاعلم أنك تارك لأَمر مولاك تابعٌ لهواك. وإذا رأيت الأيدي والألسن تسلَّطت عليك وتناولتك الظلمة في النفس والأَهل والمال والولد فاعلم أنك مرتكبٌ للمناهي

---

[51] القرآن،سورة البقرة آية37.

[52] القرآن،سورة هود آية47.

[53] القرآن،سورة الشعراء آية82.

[54] القرآن،سورة الاعراف آية151.

[55] القرآن، سورة ص آية40.

[56] الجيلاني،الغنية،1/ 116

ومانعٌ للحقوق ومتجاوزٌ للحدود، وإذا رأيت الهمومَ والكروبَ في القلب قد تراكمت فاعلم أنك معترض على الرب فيما قدَّر عليك، غير واثق به ولا راضٍ بتدبيره فيك وفي خلقه، فعليك عند ذلك بالندم والرجوع عما أنت فيه... وتعرف توبة التائب في أربعة أشياء: أحدها: أن يملك لسانه من الفضول والغيبة والنميمة والكذب. والثاني: أن لا يرى لأحد في قلبه حسداً ولا عداوة. والثالث: أن يفارق إخوان السوء. والرابع: أن يكون مستعداً للموت نادماً مستغفراً لما سلف من ذنوبه، مجتهداً في طاعة ربه... وقال أبو علي الدقاق رحمه الله تعإلى: التوبة على ثلاثة أقسام: أولها التوبة، وأوسطها الإنابة، وآخرها الأوبة، فالتوبة بداية، والإنابة واسطة، والأوبة نهاية. فكل من تاب لخوف العقوبة كان صاحب توبة، ومن تاب طمعاً في الثواب أو رهبة من العقاب كان صاحب إنابة، ومن تاب مراعاة للأَمر لا لرغبة في الثواب أو رهبة من العقاب كان صاحب أوبة. وقيل: التوبة صفة المؤمنين، والانابة صفة الأولياء المقربين، والأَوبة صفة الأَنبياء والمرسلين "نعم العبد إنه أوّاب"[57]

يقرر الشيخ عبد القادر الجيلاني أن التوبة من سائر الذنوب واجبة بإجماع الأمة وأنها تكون من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها .

ثم يعرف الكبائر بأنها: "ما توعَّد الله عليه بالنار أو ما أوجب عليه الحد في الدنيا وأن بعض العلماء حصرها في سبعة عشرة كبيرة: أربعة بالقلب، وهي الشرك بالله والإصرار على المعصية والقنوط من رحمة الله والأمن من منكر الله. وأربع في اللسان: وهي شهادة الزور وقذف المحصنات واليمين الغموس والسحر. وثلاث في البطن وهي: شرب الخمر وأكل مال اليتيم وأكل الربا. واثنتان في الفرج وهما: الزنا واللواط. واثنان في اليدين، وهما: القتل والسرقة. وواحدة في الرجلين، وهي الفرار من الزحف. وواحدة في جميع البدن وهي عقوق الوالدين"

وفي النهاية يرى الشيخ عبد القادر الجيلاني أن التوبة على وجهين: "أحدهما: في حق العباد بعضهم تجاه بعض وهذا لا يتحقق إلاَّ برد المظالم والتحلل من الحقوق بإعادتها إلى أصحابها. والثاني: يتعلق بحق الله تعإلى فتكون التوبة منه بالاستغفار الدائم باللسان والندم بالقلب والإضمار على ألاَّ يعود إلية في المستقبل"[58]

هذه هي التوبة عند الشيخ عبد القادر الجيلاني ونظراته إليها وتوجيهاته للتائبين. وقد أوردها بعبارات جميلة وترقيقات بديعة تدل على حساسية مرهفة لمعنى التوبة وموقف العبد منها.

---

[57] القرآن،سورة ص آية30.

[58] المصدر السابق،140/1.

ثانياً: الزهد

الزهد لغة: قال ابن فارس رحمة الله (الزاي، والهاء، والدال) أصل يدل على قِلَّةِ الشيء[59] وقال الراغب رحمة الله: والزاهد بالشيء: الراغب عنه[60] .

الزهد لغة: زهد فيه وعنه زاهداً وزهادة أعرض عنه تركة لاحتقاره أو لتحرجه عنه. ويقال: زاهد في الدنيا ترك حلالها مخافة حسابه وترك حرامها مخافة عقابه.

وفي الاصطلاح: له عدة تعريفات من أحسنها قول ابن قدامة المقدسي: "هو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه. أو بمعنى آخر: "أن تترك الدنيا لعلمك بحقارتها بالإضافة إلى نفاسة الآخرة".

قال ابن تيمية: الزهد المشروع: هو ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدَّار الآخرة، وهو فضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة الله .[61]

يقول ابن القيم[62] رحمة الله: الزهد سفر القلب من وطن الدنيا، وأخذه في منازل الآخرة، وعلى هذا صنف المتقدمون كُتُب الزهد، كالزهد لعبد الله بن مبارك، وللإمام أحمد، ولوكيع، ولهنَّاد بن السَّرى، ولغيرهم، ومتعلَّقه ستة أشياء لا يستحق العبد اسم الزهد حتى يزهد فيها: وهي المال، والصُّور، والرياسة، والناس، والنفيس، وكل ما دون الله.

وليس المراد رفضها من المِلْكِ، فقد كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما، ولهما من المال والملك والنساء مالهما، وكان نبينا من أزهد البشر على الإطلاق، وله تسع نسوة، وكان علي بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير، وعثمان رضي الله عنهم: من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال.

يقول ابن القيم الزهد أقسام [63]

1- زهد في الحرام: وهو فرض عين.
2- زهد في الشبهات: وهو بحسب مراتب الشبهة، فإن قويت التحق بالواجب، وأن ضعفت كان مستحباً.

---

[59] ابن فارس،أحمد،معجم مقاييس اللغة،30/3،تحقيق عبد السلام هارون،القاهرة،1969م.

[60] الاصفهاني،الراغب،مفردات في غريب القرآن،ص220،تحقيق محمد سيد الكيلاني،القاهرة،1961م.

[61] ابن تيمية،مجموع الفتاوي،21/10.

[62] الجوزية،ابن قيم،مدارج السالكين،13/2،ط2،درا الكتب العلمية ،بيروت،1408هـ،

[63] المصدرالسابق.

3- وزهد في الفضول: وهو زهد فيما يغني من الكلام، والنظر، والسؤال، واللقاء، وغيره، وزهد في الناس، وزهد في النفس، حيث تهون عليه نفسه في الله.

4- وزهد جامع لذلك كُلِّه، وهو الزهد فيما سوى ما عند الله، وفي كل ما يشغلك عن الله، وأفضل الزهد: إخفاء الزهد، وأصعبه الزهد في الحظوظ.

وسائل الزهد:

مما يساعد على بلوغ صفة الزهد ثلاث أشياء:

1- علم العبد أن الدنيا ظلٌّ زائل، وخيالٌ زائر، فهي كما قال الله تعالى:" **وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ**"[64] ، ونهى عن الاغترار بها، وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترين، وحذرنا مثل مصارعهم، وذم مَنْ رضي بها واطمأن إليها.

2- علمه أنَّ وراءها دار أعظم منها قدراً، وأجل خطراً، وهي دار البقاء فالزهد فيها لكمال الرَّغبة فيها أعظم منها.

3- معرفته وإيمانه الحق بأنَّ زهد فيها لا يمنعه شيئاً كُتب له منها، وأنَّ حرصه عليها لا يجلب له ما لم يُقْضَ له منها، فمتى تيقن ذلك ثَلِجَ له صدره، وعلم أنَّ مضمونه منها سيأتيه.

فهذه الأمور الثلاثة تسهل على العبد الزهد في الدنيا، وتثبت قدمه في مقامه[65].

الزهد والنفس البشرية:

قد أخبر جلَّ وعلا أنَّ النفس البشرية بطبعها ميالة إلى الدنيا كما قال تعالى: "**بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ، وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ** "[66]، **لذلك أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم باطراحها والزهادة فيها، كما قال تعالى: "وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ**"[67] .

---

[64] القرآن،سورة الحديد بية 20.

[65] ابن رجب،جامع العلوم والحكم،ص254.

[66] القرآن،سورة الاعلى آية16-17.

[67] القرآن،سورة طه131.

أهمية الزهد:

جاء تحذير من الركون إلى الدنيا والرضا بها والاطمئنان إليها في آيات عدة تدل على أهميته منها قوله تعالى عن قارون: " فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ، وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ، فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ، وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ، تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ"[68] ، وقال تعالى: "إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ، أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ"[69] ، وقال تعالى: "مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٖ" [70].

والشيخ عبد القادر الجيلاني يفرق بين الزهد الحقيقي والمتزهد الصوري فيقول: "المتزهد يخرج الدنيا من يديه والزاهد المتحقق في زهده يخرجها من قلبه". وكلامه هذا يشير فيه إلى نوعية من الناس يزهدون في الدنيا ويرفضونها من أيديهم لكنها تسكن في سويداء قلوبهم.

"الصادق في زهده تجيء إليه أقسامه فيتناولها ويلبس ظاهره بها وقلبه مملوء من الزهد فها وفي غيرها"[71] .

ثم يضع صورة واضحة للزاهد الصادق فيقول: "وفى الناس من تكون الدنيا بيده ولا يحبها، يملكها ولا تملكه تحبه ولا يحبها تعدو خلقه ولا يعدو خلفها يستخدمها ولا تستخدمه يفرقها ولا تفرقه. قد صلح قلبه الله عز وجل فلا تقدر الدنيا تفسده فيتصرف فيها ولا تتصرف فيه".

ولما لصلاح النية والقصد من الأهمية في قبول العمل حيث أنها تتحكم في تصرفات الإنسان فتتحول العادات والمباحات إلى أعمال صالحة بالنية الصالحة والقصد الحسن وفي هذا يقول الشيع عبد القادر الجيلاني: "المؤمن له نية صالحة في جميع تصرفاته لا يعمل في الدنيا للدنيا يبني فى الدنيا للأخرة يعمر المساجد والقناطر والمدارس والربط ويهذب

---

[68] القرآن،سورة القصص آية79-83.

[69] القرآن،سورة يونس آية7-8.

[70] القرآن،سورة الشورى آية 20.

[71] الجيلاني،الفتح الرباني والفيض الرحماني،ص106.

طرق المسلمين وإن بنى غير هذا فللعيال والأرامل والفقراء وما لابدَّ له منه يفعل ذلك حتى يبنى له في الأخرة". ولكن الشيخ عبد القادر ببين أن الزهد ليس أمراً سهلاً يمكن الاتصاف به دون تعب أو معاناة كما أنه ليس في قدرة كل واحد أن يكون زاهدة لآن الزهد على حد تعبير الجيلاني:

"منة صالحة وإلاَّ فما يقدر أحد أن يزهد في قسمه.

المؤمن يستريح من ثقل الحرص لا يشره ولا يستعجل.

زهد في الأشياء بقلبه وأعرض عنها بسرَّه واشتغل بما أمر به وعلم ان قسمه لا يفوته فلم يطلبه.

ترك الأقسام تعدوا خلقه وتذل وتسأله قبول"

كما أن الزهد في نظر الشيخ الجيلاني ليس حرفة أو مهنة يمكن إدراكها عن طريق التعليم والتدريب عليها وإنما هو خطوات على درب السلوك تتبعها خطوات وفي هذا الخصوص يصف الشيخ الجيلاني حال الزاهد فيقول:"يا غلام هذا الزهد ليس صنعة تتعلمها ليس هو شيئاً تأخذه بيدك ترميه بل هو خطوات أولها النظر في وجه الدنيا نتراها كما هي على صورتها عند من تقدم من الأنبياء والرسل".

ومن هنا فإن الجيلاني يربط بين العلم والزهد ويرى أنه لابدَّ من تلازمهما للوصول إلى الله عز وجل وهذا واضح من قوله:"ما وصل من وصل إلاَّ بالعلم والزهد في الدنيا والإعراض عنها بالقلب والقالب".

تلك هي منزلة الزهد عند الشيخ عبد القادر الجيلاني وهي بلا شك منزلة عالية يرتفع بها صاحبها ويعظم في أنظار الناس وتتحقق الاستفادة منه وقد عبَّر عن هذا بقوله: "من صح زهده في الخلق صحت رغبتهم فيه وانتفعوا بكلامه والنظر فيه" [72].

ثالثا التوكل

التوكل: هو الثقة بما عند الله واليأس عما في أيدي الناس (الجرجاني د.ت). قال عز شأنه: "**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**"[73] ، فقد علَّق الإيمان على التوكل وهذا يدلُّ على أهميته وعلى انتفاء الإيمان عمن لا توكل لديه.

[72] المصدر السابق.

[73] القرآن،سورة الانفال آية 2

التوكل لغة

التَّوكل مصدر توَكَّل يَتَوَكَّلُ وهو مأخوذ من مادة (وك ل) التي تدل على اعتماد على الغير في أمرٍ ما، ومن ذلك التَّوَكُّلُ وهو إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك[74].

واصطلاحاً: صدق اعتماد القلب على الله عزَّ وجل في استجلاب المصالح ودفع المضارَّ، من أمور الدنيا والآخرة، وكلةُ الأمور كلَّها إليه، وتحقيق الإيمان بأنَّه لا يعطي ولا يمنع ولا يضُرُّ ولا ينفع سواه[75] .

وقال الجرجاني رحمة الله التوكل هو الثقة بما عند الله واليأس عما في أيدي الناس[76](د. ت).

قال ابن القيم: التوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروب، فمن أنكر الأسباب لم يستقم معه التوكل، ولكن من تمام التوكل: عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها، فالأسباب مَحلُّ حكمة الله وأمره ونهيه، والتوكل متعلقٌ بربوبيته وقضائه وقدرته، فلا تقوم عبودية الأسباب إلاَّ على ساق التوكل، ولا يقوم ساقُ التوكل إلاَّ على قدَم العبودية [77].

أن التوكل الأخذ بالأسباب وقطع علاقة القلب بها، والاتكال ترك الأسباب الموصلة إلى المراد وعدم الأخذ بها فلو قال قائل: التوكل فوق التفويض وأجل منه وأرفع لكان مصيباً ولهذا كان القرآن الكريم مملوءاً به أمراً وإخباراً عن خاصة الله وأوليائه، وصفوة المؤمنين وأمر الله به رسوله في مواضع عديدة من كتابه وسماه المتوكل (يعني الرسول صل الله علية وسلم). أما التفويض فلم يجيء في القرآن الكريم إلاَّ فيما حكاه المولى عزَّ وجل عن مؤمن آل فرعون، وذلك في قوله عزَّ وجل: "وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ" [78]،ومن يفوض أمره إلى الله يتبرأ من الحول والقوة، ويفوض الأمر لصاحب الأمر من غير أن يقيم المفوَّض إليه مقام نفسه في مصالحه، بخلاف التوكل، فإن الوكالة تقضي أن يقوم الوكيل مقام الموكل، وهو بذلك أوسع من التفويض، وأعلى وأرفع[79]

ويرى ابن القيم أن التوكل ينقسم إلى سبع درجات:

---

[74] ابن فارس،136/6.

[75] ابن رجب،جامع الغلوم والحكم،409.

[76] الجرجاني،التعريفات،ص74.

[77] ابن قيم،مدارج السالكين،125/2.

[78] القرآن،سورة غافر آية44.

[79] ابن قيم،مدارج السالكين،145/2.

الاولى: معرفة الرب وصفاته من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الأمور إلى علمه وصدورها عن مشيئته وقدرته. وهي أول درجة يضع بها العبد قدمه في مقام التوكل.

الثانية: إثبات الأسباب والمسببات.

الثالثة: رسوخ القلب في مقام توحيد المتوكل فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده. بل حقيقة التوكل توحيد القلب فمادامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول مدخول. وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل.

فإن العبد متى التفت إلى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة ومن هنا ظن من ظن أن التوكل لا يصبح ألاَّ برفض الأسباب وهذا حق لكن رفضها عن القلب لا عن الجوارح.

الرابعة: اعتماد القلب على الله واستناده وسكونه إليه بحيث لا يبقى فيه اضطراب من تشويش الأسباب ولا سكون إليها. علامة هذا ألا يبالي بإقبالها وإدبارها ولا يضطرب قلبه عند إدبار ما يحب وإقبال ما يكره منها لأن اعتماده على الله وسكونه إليه، ومثل حاله كحال الطفل الرضع في اعتماده وسكونه وطمأنينته بثدي أمه لا يعرف غيره وليس في قلبه التفات إلى غيره. كذلك المتوكل لا يأوي إلاَّ إلى ربه سبحانه.

الخامسة: حسن الظن بالله عز وجل. فعلى قدر حسن ظنك بربك ورجائك له يكون توكلك عليه. ولذلك فسَّر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله.

والتحقيق أن حسن الظن بالله يدعو إلى التوكل عليه إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به ولا التوكل على من لا ترجوه.

السادسة: استسلام القلب له. وانجذاب دواعيه كلها إليه وبهذا فسَّره من قال: أن يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف أراد لا يكون له حركة ولا تدبير.

السابعة: التفويض وهو روح التوكل ولبُّه وحقيقته وهو إلقاء أموره كلها إلى الله وإنزالها به طلباً واختياراً لا كرهاً واضطراراً. بل كتفويض الابن العاجز الضعيف كل أموره إلى أبيه العالم بشفقته عليه وتمام كفايته وحسن تدبيره فهو يرى أن تدبير أبيه له خير من تدبيره لنفسه فلا يجد له أصلح ولا أرفق من تفويض أموره كلها إلى أبيه[80]

[80] المصدر السابق.

وقد تناول الشيخ عبد القادر الجيلاني مسألة التوكل لأربع مسائل. الأصل في مشروعيته وتعريف حقيقته: فقال: الأصل فيه قوله تعإلى:" وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥ" وقوله تعإلى:" وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ" (القرآن، المائدة 5: 23). وحقيقته تفويض الأمور إلى الله عز وجل والتنقي من ظلمات الاختيار والتدبير والترقي إلى ساحات شهود الأحكام والتقدير، فيقطع العبد ألاَّ تبديل للقسمة، فما قسم له لا يفوته ومالم يقَّدر له لا يناله فيسكن قلبه إلى ذلك ويطمئن إلى وعد مولاه. يرى الشيخ عبد القادر الجيلاني أن التوكل ينقسم إلى ثلاث درجات: التوكل ثم التسليم ثم التفويض، فالمتوكل يسكن إلى وعد ربه وصاحب التسليم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضي بحكمه [81].

ويرى الشيخ عيد القادر الجيلاني أن للتوكل ثمرات فقد قال: من أي القوة في دين الله عز وجل فليتوكل على الله عز وجل؛ لأن التوكل يصحح القلب ويقويه ويهذبه ويهديه ويريه العجائب، لا تتوكل على درهمك ودينارك وأسبابك، فإن ذلك يعجزك ويضعفك، وتوكل على الله عز وجل فإنه يقويك ويعينك ويلطف بك ويفتح لك من حيث لا تحتسب[82] وهذا ما أكَّده شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهو يوضح معنى ما نقل عن الشيخ عبد القادر الجيلاني من أنه رُئي في المنام وهو يقول إخباراً عن الحق سبحانه: من جاءنا تلقيناه من البعيد، ومن تصرف بحولنا ألنَّا له الحديد، ومن اتبع مرادنا أردنا ما يريد، ومن ترك من أجلنا أعطيناه فوق المزيد. فقال فالأُوليان: العبادة والاستعانة. والآخرتان الطاعة والمعصية فالذهاب إلى الله هي عبادته وحده كما قال تعإلى بالحديث القدسي: من تقرب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إليَّ ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشى أتيته هرولة (البخاري، صحيح البخاري، كتاب التوحيد)، والتقرب بحوله هو الاستعانة والتوكل عليه فإنه لا حول ولا قوة إلاَّ بالله. وفي الأثر: من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله [83]

يبين الشيخ عبد القادر الجيلاني اعتقاده حولها والمتضمن ضرورة الأخذ بها مع عدم الاعتماد عليها فقال: اعتقاد المتبعين لكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صل الله عليه وسلم أن السيف لا يقطع بطبعه بل الله عز وجل يقطع به، وأن النار لا تحرق بطبعها بل الله عز وجل المحرق بها، وأن الطعام لا يشبع بطبعه بل الله عز وجل يشبع به، وأن الماء لا يروي بطبعه بل الله عز وجل المروي به. وهكذا جميع الأسباب على اختلاف اجناسها الله عز وجل المتصرف فيا وبها وهي آلة بين يديه يفعل ما يشاء، وهذا لا يعني دعوته إلى ترك الأسباب أو أن هناك تعارضاً بين التوكل والأخذ بالأسباب، بل إن

---

81 الجيلاني،الغنية،189/2.

القحطاني الجيلاني الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية، ص612.

التوكل الصحيح في مفهوم الشيخ الجيلاني هو الأخذ بالسبب والتوكل على مسبب الأسباب إذ يقول في هذا الصدد: أعط نفسك في بحر التوكل فتجمع بين السبب والمسبب.[84]

والتنوع إذن درجات: وهي التوكل ثم التسليم ثم التفويض؛ فالتوكل يسكن إلى وعد ربه، وصاحب التسليم يكتفي بعلمه. وصاحب التفويض يرضى بحكمه... أما الحركة الظاهرة التي هي الكسب بالسنة فلا تنافي توكل القلب بعدما يتحقق العبد أن التقدير من قبل الله تعإلى في قلبه، لان محل التوكل القلب وهو تحقيق الإيمان فمن أنكر الكسب فقد أنكر السنة، ومن أنكر التوكل فقد أنكر الإيمان، فإن تعسّر شيء من الأَسباب فبتقدير الله عز وجل، وإن تيسَّر شيء منها فبتيسيره عز وجل.

رابعاً: الشكر

قال الراغب: الشكر، تصور النعمة وإظهارها[85] .

وقال ابن منظور: الشكر عرفان الإحسان ونشره وهو بمعنى كلام الراغب[86] .

وقال ابن فارس: وحقيقة الشكر الرضا باليسير، ومن ذلك فرس شكور وإذا كفاه لسمنه العلف القليل [87]

وقد تحدث الشيخ عبد القادر الجيلاني عن الشكر من خلال ثلاث مسائل: الأولى: حقيقة الشكر: فقال رحمة الله: وحقيقة الشكر عند أهل التحقيق الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع.

فهو رحمه الله يذكر أن حقيقة الشكر هي الاعتراف بنعمة المنعم الذي هو الله عز وجل فهو صاحب الفضل والعطاء فيعترف القلب أن كل نعمة إنما هي من الله سبحانه. ثم تخضع جوارحه لهذا المنعم فإن الخضوع هو الطاعة والانقياد إذ لا يسمى الإنسان خاضعاً إلاَّ إذا كان طائعاً لأمر الله عز وجل منقاداً لشرعه [88].

واما اقسامه. فإنه رحمة الله قد قسم الشكر إلى ثلاثة أقسام فقال: الشكر ينقسم اقساماً إلى شكر باللسان وهو اعترافه بالنعمة مبعث الاستكانة، وشكر بالبدن والأركان وهو اتصاف بالوفاء والخدمة، وشعر بالقلب وهو اعتكاف على بساط الشعور بإدامة حفظ الحرمة وفي موضع آخر يصف الشيخ عبد القادر الجيلاني كيفية الشكر فيقول: أما كيفية الشكر

---

[84] المصدر السابق،ص613.

[85] الراغب الاصفهاني،المفردات،ص265.

[86] ابن منظور،اللسان،4/ 2305

[87] ابن فارس،المقاييس،3/207.

[88] الجيلاني،الغنية،2/194.

فيكون باللسان بالاعتراف بالنعمة وأنها من عند الله عز وجل وترك الإضافة إلى الخلق لا إلى نفسك وحولك وقوتك وكسبك ولا إلى غيرك من الذين جرت على أيديهم لأنك وإياهم أسباب وآلات واداة لها. وان قاسمها ومجريها وموجودها والسبب لها هو الله عز وجل، والقاسم هو الله والمجري هو الله فهو أحق بالشكر من غيره. وأما الشكر بالقلب فبالاعتقاد الدائم والعقد الوثيق الشديد المبرم أن جميع مابك من النعم والمنافع واللذات في الظاهر والباطن في حركاتك وسكناتك من الله عز وجل لا من غيره، ويكون شكرك بلسانك معبراً عما في قليك. وأما شكر الجوارح: فبأن تحركها وتستعملها في طاعة الله عز وجل دون غير من الخلق فلا نجب أحداً من الخلق فيما فيه إعراض عن الله تعإلى، وهذا يعم النفس والهوى والإرادة والأماني وسائر الخليقة بحث تجعل طاعة الله أصلاً ومتبوعاً وإماماً وما عداها فرعاً وتابعاً ومأموماً.[89]

واما أصناف الشاكرين فقد جعلهم ثلاث أصناف:

الأولى: من وصفهم بالعالمين وهم السواد الأعظم من العباد وشكرهم يكون من جملة أقوالهم.

والثاني: من وصفهم بالعابدين وهم المؤمنون على وجه للعموم والمباشرون للعبادات المفروضة عليهم وشكرهم يكون نوعاً من أفعالهم.

والثالث: من وصفهم بالعارفين والمقربين وشكرهم باستقامتهم لله عز وجل في سائر أحوالهم، واعتقادهم أن جميع ما هم فيه من الخير وما يظهر منهم من الطاعة والعبودية والذكر لله عز وجل بتوفيقه سبحانه [90]

خامساً: الصبر

إن للصبر مرارةً كالصَّبر عند تناول، سواء بسواء، لا يطيقها إلاَّ الصابرون، لكنه محمود العاقبة، حليف العافية، يطرد الشبهات والشهوات عن القلب، كما يطرد الصَّبرُ السُمُومَ عن الجسم، فهو مفتاح الفرج، وعنوان النصر، ومن صبر ساعة، استراح إلى قيام الساعة، ومن يتصبر يصبره الله، أما من استجمع معه المصابرة والمرابطة، فقد أوتي قوَّة تفل الحديد، يستقيم معها القلب، وتنقاد له الجوارح، فإن صبر على كل طاعة وإن شقت، وعن كل معصية وإن دقت وعلى أقدار الله المؤلمة وإن جلَّت، صَبْرَ مَنْ كأنَّه واقف بين يدي الله تعإلى ينظر إليه، فقد أحسن الصبر، وتأهَّل لمرتبة الإحسان.

الصبر لغة: على معان ثلاثة:

---

[89] الجيلاني،فتوح الغيب،ص134.

[90] القحطاني، الشيخ عبد القادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة،ص621.

الأول: الحبس، والثاني: أعالي الشيء، والثالث: جنس من الحجارة. وقد اشتق الصبر المراد هنا من المعنى الأول، وهو الحبس، يقال صبرت نفسي على ذلك الأمر أي حبستها. وقيل أصل الكلمة من الدَّة والقوَّة، ومنه الصَّبِر للدواء المعروف بشدة مرارته وكراهيته [91]

قال الراغب: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه[92]

وقال ابن القيم: والنفس فيها قوتان قوَّة الإقدام وقوَّة الإحجام، فحقيقة الصبر أن يجعل قوَّة الإقدام مصروفة إلى ما ينفعه، وقوَّة الإحجام إمساكاً عما يضره، ومن الناس من تكون قوَّة صبره على فعل ما ينتفع به وثباته عليه أقوى من صبره عما يضره فيصبر على مشقة الطاعة، ولا صبر له عن داعي هواه إلى ارتكاب ما نهى الله عنه، ومنهم من تكون قوَّة صبر له على هذا ولا على ذلك، وأفضل الناس أصبرهم على النوعين فكثير من الناس من يصبر على مكابدة قيام الليل في الحر والبرد وعلى مشقة الصيام ولا يصبر عن نظرة محرَّمة، وكثير من الناس يصبر عن النظر وعن الالتفات إلى الصور ولا صبر له على الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين، بل هو أضعف شيء عن هذا وأعجزه، وأكثرهم لا صبر له على واحد من أمرين، وقلهم أصبرهم في الموضعين [93]

فهو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله لأن الله تعإلى أثنى على أيوب عله السلام بالصبر بقوله:"**إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ**"[94] **في رفع الضر عنه بقوله:** "**۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ**" [95]. فعلم أن العبد إذا دعا الله في كشف الضر عنه لا يقدح في صبره.

يقول الشيخ في مشروعيتهُ: "الأصل في مشروعية الصبر قوله تعإلى: "**وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ**" [96]. وقوله صل الله عليه وسلم: "إنما الصبر عند الصدمة الأولى"[97] .

---

[91] ابن منظور،اللسان،438/4.

[92] الراغب الاصفهاني،المفردات،ص281.

[93] ابن قيم،عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين،ص10،تحقيق نعيم زرزور،دار الكتب العلمية،بيروت.

[94] القرآن،سورة ص آية44.

[95] القرآن،سورة الانبياء آية83.

[96] القرآن،سورة النحل آية 127.

[97] البخاري،كتاب الجنائز 1223.

وكان يقول رحمه الله تعإلى:" لازمْ الصبر وخالف الهوى وارض بالقضاء، وارج بذلك الفضل والعطاء، فقد قال الله تعإلى: "**إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ**" [98]**"اصبر ولا تستعجل، وارض بالقضاء ولا تستعجل فسينالك برد عفو الله ولطفه وكرمه بمنّه تعإلى" يقول الله عز وجل: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ**" [99]أمرك بالصبر يا مؤمن ثم بالمصابرة والمرابطة والمحافظة والملازمة له ثم حذرك تركه فقال: واتقوا الله في ترك ذلك. أي لا تتركوا الصبر فإن الخير والسلامة فيه [100]

وسئل على رضي الله عنه عن الصبر فقال: الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب، وتلقي أقضيته بالرحب والسعة على أحكام الكتاب والسنه [101]

وقد ذكر الشيخ عبد القادر أن الصبر على ثلاث أضراب

الأول: صبر الله عز وجل وهو على أداء امره وانتهاء نهيه.

الثاني: صبر مع الله وهو الصبر على جريان قضائه وأفعاله فيك من سائر الشدائد والبلايا.

الثالث: صبر على الله وهو الصبر على ما وعد من الرزق والفرج والكفاية والنصر والثواب في الدار الآخرة [102]

فالأول يشمل الصبر على ممارسة الطاعات والقيام بالفرائض والواجبات لما فيها من المشقة واللزوم بالمحافظة عليها طيلة عمر الإنسان كالصلوات الخمس وأداء الزكاة عند توفر شروطها وصيام رمضان وأداء الحج وبقية أوامر الله عز وجل التي لا يمكن أن يقوم بها العبد إلاَّ إذا كان متسلحاً بالصبر قائماً على نفسه بالمجاهرة.

كما يشتمل الصبر عن محارم الله والتي غالباً ما يكون لدى الإنسان ميل غريزي للوقوع فيها باعتبارها من الشهوات المحببة إلى النفوس ولكن المسلم يمتع عنها وبصبر على ذلك رجاء ما أعدَّ الله له من الثواب وخشية ما توعَّده من العقاب.

أما النوع الثاني فإنه يتعلق بالصبر على أقدار الله المؤلمة التي يتعرض لها الإنسان وتجري عليه بها أحكام مولاه خالقه عز وجل وفيها ما يكون مؤلماً كالموت والفقر والمرض ولكن المؤمن الصابر يتلقى تلك الأقضية والأقدار بنفس مطمئنة صابراً محتسباً موقناً بأن الله سوف يكتب له الأجر الجزيل إذا صبر على هذا البلاء واحتسبه عند الله سبحانه.

---

[98] القرآن، سورة الزمر 10.

[99] القرآن،سورة ال عمران 200.

[100] الجيلاني،فتوح الغيب،ص28.

[101] المصدر السابق.

[102] الجيلاني،الغنية،195/2.

والنوع الثالث وهو ما عبَّر عنه الشيخ عبد القادر الجيلاني بالصبر على الله ويعني به انتظار ما وعد الله به من تحقيق الكفاية والإعانة والنصر والتمكين للمؤمن في الدنيا والثواب والجزاء العظيم في الآخرة [103]

وكان رحمة الله لا يخشى المصائب والبلاء ويقول: "يا بني إن المصيبة ما جاءت لتهلكك وإنما جاءت لتمتحن صبرك وإيمانك. ومصداق ذلك قول النبي صل الله تعإلى عليه وآله وسلم: "الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأَرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقهاأي محررها من العذاب أو موبقها أي مهلكها بغضب الله تعإلى"[104] .

وعن أصناف الصابرين يرى الشيخ عبد القادر الجيلاني أنهم: "ثلاثة أصناف: متصبر وصابر وصبار" .[105]

سادساً: الرضا

وهو سرور القلب بمر القضاء (الجرجاني د. ت)

وهو مما أجمع العلماء على أنه مستحب واختلفوا في وجوبه. والأصل في مشروعيته واستحبه عند الشيخ عبد القادر الجيلاني قول الله تعالى: "**رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ**"[106].**وقوله تعإلى: "يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ"** [107]، وقوله صل الله عليه وسلم "ذاق طعم الإيمان من رضي الله عز وجل رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صل الله عليه وسلم رسولاً"[108] [109]

فالرضا هو رضا القلب بمرَّ القضاء، قضاء الله سبحانه وتعإلى، وهو صفه ملازمة لجميع أرباب الطريق.

كان الشيخ عبد القادر رحمه الله تعإلى راضياً بحكم ربه عز وجل في أحواله كلها كان يقول: "أَحسِنِ الأدب، والزم الصمت والصبر والرضا والموافقة لربك عز وجل. فهو حكيمٌ في فعله متقن في صنعه لا تناقض في فعله، ولا يفعل شيئاً

---

[103] القحطاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية، ص624.

[104] مسلم، كتاب الوضوء، ص223.

[105] الجيلاني، الغنية، 195/2.

[106] القرآن، سورة البينة آية 8

[107] القرآن، سورة التوبة 21.

[108] مسلم ، كتاب الايمان ، 34.

[109] الجيلاني، الغنية، 196/3.

عبثاً. الزم الموافقة وحسَّن الظن بربك عز وجل والصبر الجميل فما كان لك لا تُسلبه، وما ليس لك لا تُعطاه. ولا تسأم من دعائه ولا تتهمه في تأخير الإجابة، فإنك إن لم تربح لم تخسر، وإن لم يجبك عاجلاً أثابك آجلاً[110] .

وأقوال أهل السلوك من المتصوفة في الرضا كثيرة وهي في مجموعها تعني ان العبد الراضي هو الذي يتلقى أحكام الله عز وجل وأقضيته بالتسليم وعدم إظهار الاعتراض لما يجري من أفعال الرب عز وجل وهذا هو خلق المؤمن عند الشيخ عبد القادر الجيلاني حيث يقول: "فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله تعإلى له. وقضاء الله عز وجل خير من قضاء المرء لنفسه وما قضاه الله لك يا ابن آدم فيما تكره خير لك مما قضى الله عز وجل لك فيما تحب فاتق الله تعإلى وارض بقضائة، قال تعالى: "**وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ**"[111] يعني ما فيه صلاح دينكم ودنياكم فالله عز وجل طوى عن الخلق مصالحهم وكلفهم عبوديته من أداء الأوامر وانتهاء المناهي والتسليم في المقدور والرضا بالقضاء فيها لهم وعليهم في الجملة واستأثر هو عز وجل بالعواقب والمصالح فينبغي للعبد أن يديم الطاعة لمولاه ويرضى بما قسم الله له ولا يتهمه [112]

ولا شك أن للرضا مردوداً عظيماً على النفس البشرية وإدخال عامل السرور والأنس عليها؛ لأن العبد حين يرضى ويسلم لاختار المولى تبارك وتعإلى لعلمه بأن ما يختاره الله هو خير له في كل الأحوال والظروف ينعكس هذا الرضا على الإنسان فيشعر بالراحة ويحس بالاطمئنان ويزول عنه القلق والتسخط والتعب والاضطراب وفي هذا المعنى يقول الشيخ الجيلاني: "واعلم أن تعب كل واحد من الخلق على قدر منازعته للقدر المقدور وموافقته لهواه وترك رضاه بالقضاء فكل من رضى بالقضاء استراح وكل من لم يرض به طالت شقوته وتعبه ولا ينال من الدينا إلا ما قسم له".

وعن أسباب عدم الرضا بأقدار الله يؤكد الشيخ عبد القادر الجيلاني بأن السبب الوحيد هو اتباع الهوى فيقول: "فما دام هواه متَّبعاً قاضياً عليه فهو غير راض بالقضاء لأن الهوى منازع للحق عز وجل فتعبه متكاثف متزايد فاستجلاب الراحة في مخالفة الهوى. لأن فيه الرضا بالقضاء بلا بُدّ، واستجلاب التعب والنصب في موافقة الهوى لأن فيه منازعة الحق عز وجل بلا بُدّ فلا كان الهوى وإذا كان فلا كنا" [113]

---

[110] الجيلاني،فتوح الغيب،ص34.

[111] البقرة،سورة البقرةآية216.

[112] الجيلاني،الغنية،197/2.

[113] المصدر السابق.

إما عن نوعية الرضا وهل هو من الأحوال أو من المقامات، فقد سبق أن ذكرت التدخل والتلازم بينهما في مقدمة هذا الفصل غير أن الشيخ عبد القادر الجيلاني يذكر اختلاف أهل العلم والمتصوفة فيه فيقول:

"قال أهل العراق هو من جملة الأحوال وليس هو كسباً للعبد بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الأحوال، ثم تحول ونزول ويأتي غيرها.

وقال الخراسانيون: الرضا من جملة المقامات وهو نهاية التوكل حتى يئول إلى غاية ما يتوصل إليه العبد باكتسابه" .[114]

إلاَّ أن الشيخ عبد القادر يرى أن الجمع بينهما ممكن بأن يقال:

"بداية الرضا مكتسبة للعبد وهي من المقامات ونهايته من جملة الأحوال وهي ليست مكتسبة"

وقد ذكر ابن القيم في هذا الاختلاف فقال:

"وهذه مسألة اختلف فيها أرباب السلوك على ثلاث فرق

فالخراسانيون قالوا: الرضا من جملة المقامات وهو نهاية التوكل، فعلى هذا يمكن أن يتوصل إليه العبد باكتسابه.

والعراقيون قالوا: هو من جملة الأحوال وليس كسباً للعبد بل هو نازلة تحل بالقلب كساتر الأحوال.

والفرز بين المقامات والأحوال أن المقامات عندهم من المكاسب والأحوال مجرد المواهب.

وحكمت فرقة ثالثة منهم القشيري صاحب الرسالة وغيره فقالوا: يمكن الجمع بينهما بأن يقال بداية الرضا مكتسبة للصبر وهو من جملة المقامات ونهايته من جملة الأحوال وليست مكتسبة فأوله مقام ونهايته حال [115]

ثم يحقق المسالة فيقول

"والتحقيق في المسالة أن الرضا كسبي باعتبار سببه موهبي باعتبار حقيقته، فيمكن أن يقال بالكسب لأسبابه فاذا تمكن في أسبابه وغرس شجرته اجتنى منها ثمرة الرضا، فإن الرضا آخر التوكل فمن رسخ قدمه في التوكل والتسليم والتفويض جُعِلَ له الرضا ولابد، ولكن لعزته وعدم إجابة أكثر النفوس له وصعوبته عليها، لم يوجبه الله على خلقه رحمة بهم وتخفيفا عنهم لكن ندبهم إليه، وأثنى على أهله وأخبر أن ثوابه رضاه عنهم الذي هو أعظم وأكبر وأجلَّ من الجنان وما فيها. فمن رضى عن ربه رضي الله عنه، بل رضى العبد عن الله من نتائج رضى الله عنه فهو محفوف بنوعين من رضاه عن

---

[114] المصدر السابق.

[115] ابن القيم،مدارج السالكين،171/2.

عبده رضاً قبله أوجب له أن يرضى عنه، ورضى بعده هو ثمرة رضاه عنه ولذلك كان الرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا ومستراح العارفين وحياة المحبين ونعيم العابدين وقرة عيون المشتاقين .[116]

سابعاً: الصدق

مصدر قولهم صَدق يصدُقُ صِدقاً، وهو مأخوذٌ من مادة (ص د ق) التي تدل على قوة الشيء قولاً أو غير قول، من ذلك الصدق خلاف الكذب لقوته في نفسه ولأنَّ الكذب لا قوَّة له وهو باطل، وأصل هذا من قولهم شيء صدق أي صلب، ورمح صدقٌ .[117]

وقال الرَّاغب الصدق مطابقة الضمير والمخبر عنه معاً، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقاً تاماً، بل إما ألاَّ يوصف بالصدق، وأن يوصف تارة بالصدق وتارة بالكذب على نظرين مختلفين .[118]

وفي اصطلاح المتصوفة وعند الشيخ عبد القادر الجيلاني هو: قول الحق في مواطن الهلاك وقيل: هو أن تصدق في موضع لا ينجيك منه إلاَّ الكذب. وقيل: هو أن تصدق في موضع لا ينجيك منه إلا الكذب وقيل: ألا يكون في أحوالك شوب ولا في اعتقادك ريب ولا في أعمالك عيب

وقد أخبر سبحانه أنه أكرم عباده المتقين بأن جعل لهم، مدخل صدق، ومخرج صدق، ولسان صدق، وقدم صدق، ومقعد صدق.

وحقيقة الصدق في هذه الأشياء هو الحق الثابت المتصل بالله، الموصل إلى الله، وهو ما كان به وله من الأقوال والأعمال، وجزاء ذلك في الدنيا .[119]

من علامات الصدق طمأنينة القلب إليه، ومن علامات الكذب حصول الريبة.

عن أبي محمد الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله صل الله عليه وسلم: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإنَّ الصدق طمأنينة، والكذب ريبة"[120] .

---

[116] المصدر السابق،173/2.

[117] ابن فارس،المقاييس،339/3.

[118] الراغب الاصفهاني،المفردات،277.

[119] اين قيم،مدارج السالكين،282/2.

[120] أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– (668/4)، رقم: (2518).

لا تستقيم العبادة إلى بالصدق ولا تستقيم الطرق إلا بالإخلاص يقول الله سبحانه وتعإلى: "وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ"[121].

وقد كان الشيخ عبد القادر رحمه الله تعإلى صادقاً مخلصاً في احواله وأقواله وأعماله طوال حياته، هكذا رباه والداه، وهكذا بقي إلى أن لقي وجه مولاه عز وجل، وكان يقول رحمه الله تعإلى: "يا غلام عليك بالصدق والصفاء فلولاهما لم يتقرب بشر إلى الله تعإلى [122]

فيمكن أن يُحقق المؤمن مرتبة الإحسان في صفة الصدق وذلك بأن يستوي لسانه على الأقوال الصادقة، وأفعال على المتابعة الصادقة للرسول صل الله عليه وسلم، وأعمال القلب والجوارح على الإخلاص الصادق لله تعإلى مستفرغاً الوسع والطاقة صدقاً فإذا فعل ذلك كله حتى يغلب على قلبه كأنه يشاهد ربه ومولاه الحق تبارك وتعإلى فقد حقَّق الإحسان في صدقه.

والأصل فيه عند الشيخ عبد القادر الجيلاني قوله عز وجل: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ" [123].

وما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صل الله عليه وسلم أنه قال: عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً [124].

وللصدق عند الشيخ عبد القادر الجيلاني منزلة عالية فهو عماد الأمر وفي ذلك يقول: واعلم بأن الصدق عماد الأمر وبه تمامه وفيه نظامه، وهو ثاني درجة النبوة وهو قوله عز وجل: "وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا"[125] . وقد فرق الشيخ

---

[121] القرآن،سورة البينة آية 5.

[122] الجيلاني، الفتح الرباني، ص34.

[123] القرآن،سورة التوبة آية119.

[124] أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين} وما يُنهى عن الكذب (2261/5)، رقم: (5743).

[125] القرآن،سورة النساء،69.

عبد القادر الجيلاني بين الصادق والصديق بقوله: والصادق هو الاسم اللازم من الصدق، والصديق هو المبالغة منه وهو من تكرر فيه الصدق فصار دأبه وسجيته وصار الصدق غالبه. فالصدق استواء السر والعلانية، والصادق هو الذي صدق في أقواله، والصديق من صدق في أقواله وجميع أفعاله وأحواله [126].

وهكذا يتبين اهتمام الشيخ عبد القادر وتأكيده على أهمية التخلق والاتصاف بهذه الصفات الحميدة التي تكسب العبد سعادة الدنيا وفلاح الآخرة.

المراجع:

- القران الكريم
- ابن الأثير الجزري، علي بن محمد بن محمد. 1987. الكامل في التاريخ. تحقيق عبد الله القاضـي، دار الكتب العلمية.
- ابن رجب الحنبلي،1952م، جامع العلوم والحكم، مكتبة مصطفى الحلبي.
- ابن فارس، احمد، معجم مقايس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، 1969م، القاهرة.
- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، 1956م، بيروت.
- الأصفهاني، الراغب، تحقيق محمد سيد كيلاني، المفردات في غريب القرآن،1961م، القاهرة.
- البخاري، أبو عبدالله ابن إسماعيل البخاري،صحيح البخاري،دار الفكر،ط1991،1م.
- التادفي، قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر ،1956م، القاهرة، ط3.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي (الجامع)، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، 1356هـ، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، ط1.
- الجرجاني، علي بن محمد الشريف. *التعريفات*. بيروت. مكتبة لينان.
- الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي. 1995 . *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم*. المكتبة الوقفية، ط2.
- الجوزية، ابن قيم، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، تصحيح نعم زرزور، دار الكتب العالمية، بيروت.
- الجوزية، ابن قيم، مدارج السالكين، 1408هـ، دار الكتب العالمية، بيروت، ط2.
- الجيلاني، عبد القادر، الغنية لطالبي الحق، دار الالباب دمشق.

[126] الجيلاني،الغنية،2/200.

- الذهبي، شمس الدين محمد احمد، 1982، *سير اعلام النبلاء*، تحقيق شعيب الارناؤوط. مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي،2002م، الأعلام، دار العلم للملايين.
- زيدان، محمد يوسف طه، باز الله الاشهب،1991م، دار الجيل، بيروت، ط1.
- السامرائي، يونس الشيخ إبراهيم، 1990. *كتاب الشيخ عبد القادر الكيلاني*. بغداد مطبعة الاش.
- الشرقاوي، حسن، معجم الفاظ الصوفية، 1992م، مؤسسة مختار، القاهرة.
- فتاوي ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، طبعة الرئاسة العامة للحرمين الشريفين.
- القحطاني، سعيد بن مسفر،1997م، الشيخ عبد القادر الجيلاني الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية، الرياظ، ط1.
- الكيلاني، جمال الدين فالح ،2011م، الشيخ عبد القادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي، ط1.
- الكيلاني، عبد القادر، الشيخ عبد القادر الجيلاني الامام الزاهد القدوة،1994م، دار القلم بيروت، ط1.
- لحافظ عماد الدين ابي الفداء اسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، 1998م، *البداية والنهاية*، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى.
- مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم أبو الحسين،صحيح مسلم،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،دار احياء التراث العربي،ط2،بيروت،1992م.
- المكي، ابي طالب، قوت القلوب، 1351هـ، المطبعة المصرية، القاهرة، ط1.
- المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهام التعريف، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، 1410هـ، القاهرة.
- النداوي، أبي الحسن. رجال الفكر والدعوة. دار ابن كثير. 2007م، دمشق. سوريا.
- النووي، يحيى بن شرف النووي محي الدين أبو زكريا، بستان العارفين،1988م، مكتبة التراث الإسلامي.
- الهروي، عبد الله الأنصاري، 1988، منازل السائرين، دار الكتب العالمية.